



يستحي المرء في هذه الأيام أن يكتب عن سورية العزيزة وهو يمسك بالقلم في غرفة دافئة ليديج مقالاً ينتصر للثورة والأبراء المضطهدين ويستنكر جرائم النظام البعثي الطائفي، وماذا عساه أن يكتب وأحرار الشام يكتبون تاريخهم بالدم وهو لا يملك سوى يراع عادي، يقطر دماً - نعم - ويعتصر صاحبه ألمًا، لكنه في حال غير ما يعانيه الأحرار والجرائر والأطفال والعجائز في طول سورية وعرضها من حرب إبادة حقيقة تدور رحاها منذ عام كامل، لكتني قررت أن أكتب كلمات هي جهد المقل ليلعلم أحبتني هناك وفي كل مكان أننا هنا في الجزائر نعيش ثورتهم وكأنها ثورتنا، وتقاد صدورنا تنفجر من الغيظ من هول ما نرى ونسمع من جرائم الأسرة الحاكمة في دمشق الفيحاء، ونحن عاجزون عم مد يد العون لإطعام الجائعين الذين قطعت عنهم المؤن والمصابين المحرومين من العلاج واليتمى الهائمين على وجوههم وإخواننا في الدين أو في الإنسانية المهجّرين قسراً من بيوتهم في عز الشتاء القارس، وليس لهم من ذنب سوى رغبتهم في الحرية واسترداد بلدتهم من قبضة الأسرة الحاكمة باستبداد وظلم وفساد.

إننا نبصر وحشاً ضارياً لا يعرف ديناً ولا قيماً ولا أخلاقاً ولا عهوداً، تحول، مثل أبيه، إلى آلة للبطش والقتل، يتصرف وكأنه في غابة مستباحة لا تحكمها قوانين ولا شرائع ولا نظم، يجد فيها أعوناً على الظلم، يساعدونه بوسائل شتى على إرکاع سورية بل تخريبها ليبقى هو وأسرته وحاشيته في السلطة، وما زال يسوق خطاباً مفلساً مشحوناً بذرائع مضحكة كالمؤامرة الكونية والمقاومة والممانعة والعصايات الإرهابية القليلة العدد التي تدخل بحرية من البر والبحر والجو ليلاً ونهاراً رغم أن سورية واحدة من أكثر دول العالم خضوعاً لنظام بوليسى مخابراتي يُحصي الأنفاس فضلاً عن الحركات.

في هذه الغابة المحكمة بقانون الغاب وحده وبما هو أشد منه بشاعة، عصابة تحيط بالوحش الدموي المفترس، تزيّن له جرمها وتطاوعه على إبادة الشعب المسالم المظلوم، وتسوّغ له القمع الدموي المنقطع النظير بذرائع الطائفية حيناً والمصلحية حيناً آخر، والدين أيضاً في أحيان أخرى، وهذا أشد ما في الأمر، لأن المسلمين ينتظرون من عالم الدين أن يجهر بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ويرفع صوته بالنکير على القوي المعتمدي والحاكم الظالم، وبصفته مع الأمة ومطالبيها وألامها كما هو شأن العلماء العاملين الذي يدرس سيرتهم في المساجد ويؤلف فيها الكتب، فإذا تخلّى عن واجب الصدح بكلمة الحق ونصرة المظلومين وزجّ بنفسه في مخطط إحراق البلاد وغدا بوقاً للنظام الفرعوني المستبدّ كان لذلك وقع شديد وأنذر إلى جانب عوامل أخرى بانتهاء عهد الكلمة ليحمل المضطهدون السلاح مكرهين دفاعاً عن النفس،

ولن يسكت حينئذ السلاح إلا بسقوط الطاغية ونظامه.

وإنما ما زالت العصابة متجبرة بسبب استنادها إلى قوى تدعمها بداعف شئ، كالجامعة العربية التي تهتم لشأن النظام ولا تبصر معاناة الشعب، ومثل المجاميع الشيعية التي تحرّك لداع طائفية صرفة، وقد فقد حزب الله بذلك ما كان له من مصداقية عند أهل السنة في جميع البلدان، وسقطت معه دعوى المقاومة والممانعة، وتخلّي الرأي العام العربي والإسلامي عن دعم إيران سياسياً أمام الضغوط الغربية، أما النظام الطائفي في العراق فقد نزع عنه ورقة التوت التي كان يحاول إخفاء سوءاته بها وإنكشف اصطفافه الطائفي حتى للسنج المغفلين، ومع هؤلاء الفيتو الروسي والصيني الذي يضحي تماماً مثل الفيتو الأمريكي الدائم بشأن فلسطين بالمبادئ والحقوق والدماء من أجل المصالح، بل إن المراقب الحصيف يلحظ التلاؤ الغربي في الحالة السورية الذي لا يمكن تفسيره إلا كحفظ على النظام البعثي لحماية الكيان الصهيوني والحلولة دون وصول القوى الإسلامية والوطنية المخلصة إلى السلطة كما هو منظر.

فماذا بقي للشعب السوري؟ إن الله - تعالى -، الذي منّ عليه بالثورة المباركة كما فعل من قبل مع تونس ومصر ولبيا، والسوريون مؤمنون بوعد الله ونصره، ويكتفي ملاحظة الشعارات التي يرفعونها للتأكد من ذلك، رغم أنف أدونيس وغالة العلمانيين اللادينيين، ولم يُثنهم تشيع جنائز أبنائهم يومياً طيلة عام كامل عن التظاهر والصمود ومواجهة آلة القتل الوحشية لأنّهم وصلوا إلى نقطة اللاعودة، وكلّ توقف لحركتهم يُعتبر انتحاراً للشعب كله، ولا شكّ أنّ كثيرين من السوريين وممن يتألمون لمصيّبهم يرون أن التدخل الأجنبي لحماية الناس والبلاد رغم علاقته وتبعاته المعروفة، ورغم التوجّس منه أفضل من التقتيل الجماعي المتواصل للأبرياء، ولنا أن نتصوّر تطور الأحداث لو تمكّن الوحش والعصابة من التغلب على الموقف واستردّ أنفاسه ورمم بناء النظام، لن تقتصر الخسارة حينذاك على سوريا وحدها بل سيكون هناك تهديد مباشر للثورات العربية التي انتصرت وتلك التي تدفعها التجربة السورية - عند نجاحها. بزخم كبير وتعجل بها في أكثر من قطر عربي، ولعلّ هذا ما جعل أغلبية الأنظمة في المنطقة تتوجّس من الثورة السورية وتتأمّر عليها في الخفاء والعلن وتمدد عمر السلطة البعثية بأنواع من المُهَل والخطط والتصريحات الدبلوماسية النارية والباردة الخاوية من الأفعال والحركة.

إن الثورة السورية مدرسة متفردة ورائدة أعطت من الدروس والموافق ما لا يوجد في غيرها، فقد جعل الله - تعالى - وهو صاحب الفضل على الثورات العربية مهنة إخواننا في تونس ومصر قصيرة رغم موكب الشهداء والمصابين، وجلب للبيترين عوناً خارجياً كان ضروريأً لتجنيد الشعب الأعزل إبادة محققة كان يتوعّده بها الطاغية المجنون، أما سوريا فالعالم يتفرّج عليها وكأنه يتلذّذ بدماء الأبرياء مادام النظام يحمي الكيان الصهيوني ويحفظ المصالح الجيوستراتيجية لأكثر من طرف، بل يعتبره البعض سياجاً واقياً يمنع الإسلاميين من اكتساح المنطقة كلّها عبر الديمقراطية التي يزعم الغرب ومعه القوميون المزيفون أنّهم يقدّسونها، في هذه الظروف يجب إشعار الإخوة في الشام أنّ الجماهير العربية معهم، تعذّبهم بالتظاهرات الضخمة والاعتصامات والضغط على الأنظمة المتخاذلة، وأظنّ أنّ العبء الأكبر يقع على البلاد التي نجحت فيها الثورة، ولقد تميّز الموقف في تونس ولبيا بالإيجابية، أما مصر فكان يُتّظر منها أكثر مما رأينا، لكن يبدو أنّ هو المجلس العسكري والحكومة القائمة ليس مع الثورة لا هنا ولا هناك، ومع ذلك يُمكّن للبرلمان أن يتّخذ خطوات أكبر لردع النظام السوري وتأييد الشعب، لكنني أنتظر التحرّك الأقوى من جماعة الإخوان المسلمين، فالقضية السورية كمسألة إسلامية وعربية وإنسانية ولأسباب أخرى معروفة قضيّتها المباشرة، ومعروكتها في سوريا كمعروكتها في مصر وفلسطين وغيرها، والجماعة تستطيع أكثر من غيرها تعبيئة الجهود وحشد الجماهير والتأثير في القرار السياسي وفي الجوار الإقليمي بشكل يخدم الثورة في سوريا ويقدم الدعم المادي والمعنوي للأهالي ويزيد من عزلك النظام الذي لا يجوز أن يُعطيه أيّ طرف مهما كان فرصة لالتقاط أنفاسه واستجمام قوته فضلاً عن البقاء وفق السيناريو اليمني الذي يخس الشعب والثوار وخذلهم. إنّ سوريا إلى انتصار - بإذن الله -، وستتعافى من جراحاتها وتمحو آثار النظام الطائفي الباغي، ولن يسكت المشكّلة اليوم في

السوريين الأبطال ولكن فينا نحن العرب والمسلمين، فهل فعلنا كشعوب ما يجب علينا؟ وهل بذلنا ما ينبغي من جهد؟ ماذا سنقول غداً لأسرة حمزة الخطيب وغيره من الفتياں والفتياں الأبرياء الذين حصدت أرواحهم آلة القتل في غابة الوحش؟ لكن عزاءنا أن الوحش سيُهزم ويُقاد إلى المحاكم ليُسأل عن جرائمه ضد الإنسانية، وذلك مصير عصابته من الأسرة الحاكمة والطائفة المتنفذة وحاشية السوء من "علماء" وإعلاميين ونحوهم، ويومها لن تعود سوريا غابة، بل تكون كما عهديناها جنة فيحاء غناء، وستفرح حمص ودمشق وحماء ودرعا وحلب ودير الزور والزبداني وكل ربوة الشام.

{إن موعدهم الصبح، أليس الصبح بقريب}.

المصدر: رابطة أدباء الشام

المصادر: